

أضواء البيان

@ 405 ولذا قال تعالى بعدها { أَلَيْسَ لَهُ مُّجِبٌّ أَلَّا يَقْدِرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ وَإِنْبَاتِ الْحَدَائِقِ بِهِ ، وَالْجَوَابُ لَا . لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ .

ثم قال تعالى : { أَمْ مَن جَعَلَ الْآسُ رِضًا قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَ لَهَا أَرْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ لَهُ مُّجِبٌّ } . .

فهذه المذكورات أيضاً ، التي هي جعل الأرض قراراً ، وجعل الأنهار خلالها ، وجعل الجبال الرواسي فيها ، وجعل الحاجز بين البحرين من خصائص ربوبيته جل وعلا ، ولذا قال بعد ذكرها أَلَيْسَ لَهُ مُّجِبٌّ ؟ وَالْجَوَابُ لَا . .

فلا عتراف هـ جل وعلا بأن خلق السماوات والأرض وإنزال الماء وإنبات النبات ونحو ذلك مما ذكر في الآيات من خصائص ربوبيته جل وعلا هو الحق ، وهو من طاعة هـ ورسوله ، ومن تعظيم هـ وتعظيم رسوله بالاقتداء به صلى هـ عليه وسلم في تعظيم هـ . .

ثم قال تعالى وهو محل الشاهد { أَمْ مَن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَّخْرَجًا لِّأَفْئَاتِهِ الْآسُ رِضًا أَلَيْسَ لَهُ مُّجِبٌّ أَلَّا يَقْدِرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ وَإِنْبَاتِ الْحَدَائِقِ بِهِ ، وَالْجَوَابُ لَا . لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ .

فهذه المذكورات التي هي إجابة المضطر إذا دعا ، وكشف السوء وجعل الناس خلفاء في الأرض من خصائص ربوبيته جل وعلا ، ولذا قال بعدها أَلَيْسَ لَهُ مُّجِبٌّ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ . .

فتأمل قوله تعالى : { أَلَيْسَ لَهُ مُّجِبٌّ } مع قوله : { أَمْ مَن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } تعلم أن إجابة المضطرين إذا التجؤوا ودعوا وكشف السوء عن المكروبين ، لا فرق في كونه من خصائص الربوبية ، بينه وبين خلق السماوات والأرض ، وإنزال الماء وإنبات النبات ، ونصب الجبال وإجراء الأنهار ، لأنه جل وعلا ذكر الجميع بنسق واحد في سياق واحد ، وأتبع جميعه بقوله : { أَلَيْسَ لَهُ مُّجِبٌّ أَلَّا يَقْدِرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ وَإِنْبَاتِ الْحَدَائِقِ بِهِ ، وَالْجَوَابُ لَا . لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ .

فمن صرف شيئاً من ذلك لغير هـ توجه إليه الإنكار السماوي الذي هو في ضمن قوله : { أَلَيْسَ لَهُ مُّجِبٌّ أَلَّا يَقْدِرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ وَإِنْبَاتِ الْحَدَائِقِ بِهِ ، وَالْجَوَابُ لَا . لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ .

ثم قال تعالى : { أَمْ مَن يَهْدِيكُم فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ

